الدكتور عبد الله عزام

مسيرة عقد في جفن الردى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده، أما بعد:

فنحن الآن على أبواب عام عاشر منذ الدخول الروسي إلى أرض أبي حنيفة، أما الانقلاب الشيوعي فقد مضى عليه عشر حجج ونيف.وقد كتب الله لي أن أواكب هذه المسيرة المريرة على طول هذا الطريق الدامي نيفاً وسبع سنين ذقت في دربها مالم أذق قط في حياتي، ذقت الحلاوة في مرارتها، واستعذبت العناء في عذابها، وكنت أحس بأن ثقل الأحداث التي تلقي بكلكلها على عاتقي تصفي النفس من غواشيها وتنضج الروح على حرارة محنتها: عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب

أتيت الجهاد الأفغاني ولم يخط الشيب في عارضي، ولهول مارأيت فقد اشتعل الرأس شيبا، لقد عايشت الجهاد الأفغاني في هذه الفترة يوماً يوماً بأعصابي وقلبي ومشاعري وأحاسيسي وصرت أردد مع أبي الطيب:

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي
شيئا تتيمه عين ولاجيد

وقد درنا مع الدهر فرأيت من رفع ومن وضع، وكنا نتقلب بين أعطاف نعيم النصر أحياناً، ونتجرع غصص الهزيمة أخرى، صاحبنا فيها المجاهدين من القادة إلى الجند، حتى أصبحت أرواحنا واحدة مفرقة في جسوم كثيرة، والشعب الأفغاني بطبيعته قريب إلى القلب، تهواه الأفئدة، لأنه يحمل في طيات جبلته سجايا قلّما توفرت في شعب آخر، ولم تفسد فطرته سيول المدنية الغربية التي تجرف كل مايواجهها من قيم وتغسل ماتلاقيه من مبادئ ومثل.

عرفنا في الشعب نخوته واباءه، وعزته وصفاءه، وكرمه وحياءه، وغيرته ووفاءه رغم أن البعض كان يعتب علينا أحياناً، ويجد أخرى، ولكن محبة هذا الشعب هي السمة البارزة في شغاف القلب طيلة هذا العقد. تجاوزت فيها عن سفساف الأمور، لأني منشغل بالقضية بضخامتها وأهميتها وعلو شانها في العالم المعاصر(إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) صحيح.

وكنت ابان هذه الفترة ازداد اعجاباً بهذا الشعب لأنه رغم الارزاء الفوادح، والأضاحي التي تقدم لهذا الدين والذبائح، على سفوح الهضاب والصفائح، فإن الإصرار العنيد لايفارق همته، والعز المجيد لايغادر لمته.

ويواصل المسيرة مع القرح، وحداؤه طول الطريق المرير(ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين). ونشيده في هذه المسيرة المضنية:

أاطرح المجد عن كتفي وأطلبه
وأترك الغيث في غمدي وأنتجع (١)

والمشرفية لازالت مشرفة
دواء كل كريم أو هي الوجع (٢)

شعب طحنته المصائب، وصبت عليه النوائب، عاش بين فكي الكماشة، وهصرت نضارة حياته رحى الحرب، في تجاعيد جبينه تقرأ ملاحم الآلام العميقة، وفي قسمات وجهه تلمح التاريخ المعاصر كوثيقة.

لقد كانت المسيرة سفينة أشرعت فوق أبحر الدماء، ومركباً تقاذفته أمواج البلاء وطريقاً انداؤه الدموع والعرق وزاده الغصص والعناء ولكن:

هي نفرة كالتي من طابة حطمت
هام الطغاة ودوّى بعدها الظفر

تدافعت وحداها المجد واتزرت
بالبيض تسبقها الخطية السمر (٣)